قصص الرشيد



في جبال الماس

تصدرها نهضة مصر بالفجالة

قصص الرشيد

- ٧ -

فى جبال الماس

بقلم
ابراهيم عزوز

دار نهضة مصر للطبع والنشر
الفجالة - القاهرة

مطبعة نهضة مصر بالفجالة

هارون الرشيد خامس خلفاء الدولة العباسية . وقد كان عصره أزهى عصور المسلمين فى بغـــداد . فبلغت الدولة الإسلامية فى أيامه قمة مجدها . حتى تزلف إليها أكبر ملوك أوربا ، وخطبوا ودها ورضاها .

وجدير بأبناء العرب فى كل مكان أن يقرءوا تاريخ هذا العصر الذهبى ؛ ويقفوا على سر عظمة أجدادهم . ليستمدوا القدوة الصالحة، والعبرة النافعة .

وإنى إذ أقدم للناشئة هذه القصص ، التى تصور هذا العصر تصويراً ، فى بعضه الصدق التاريخى ، وفى بعضه الخيال الأدبى — لأرجو أن ينفع الله بها أبناءنا ، وأن تحفز هممهم لدرس هذا التاريخ المجيد .

والله الموفق المؤلف

— ١ —

أسرع أَصدقاءُ السندبادِ البحريِّ إلى قصره فى مدينةِ بغدادَ ؛ ليسمعوا بقيةَ قِصصِه وأَخبارِ مغامراتِه فى البلادِ ، ولِيَأْخُذُوا منهُ الهدايا الثمينة التى كان يقدِّمُها إليهم بعدَ كلِّ قصةٍ من قصصِه فى نهايةِ اليوم .

ولمَّا اكتملَ جمعُهم ، نزلَ إليهم من جناحِه الخاصِّ فى القصْرِ ، وهو يمشى بين صَفَّيْنِ من الغلمانِ الأتراكِ ، الذين يلبسونَ الملابسَ المزينةَ بسلوكِ الذهبِ ، وخيوطِ الفضَّةِ ، وعلى رءوسِهم العمامات الكبيرةُ ، وقد شدُّوا على أَوساطِهم أَحزمةً حُمْراً من الحرير الغالى .

وكان السندباد فى هذا المظهرِ يشبهُ الخليفة هارونَ الرشيد الذى كان يحكمُ بغدادَ ، وبلادَ المسلمينَ كلَّها فى ذلك الوقتِ .

ولما وصلَ السندبادُ إلى الحجرةِ الكبيرةِ التى يجلسُ فيها ضيوفُه ، وقفَ الضيوفُ لاستقبالِهِ وتحيتِهِ ، فشكرَهُمْ وحياهُمْ بتحيةِ المسلمينَ قائلا :

— السلامُ عليكُمْ يأيُّها الإخوةَ الأعزاءُ .

فأجابُوهُ بصوتٍ واحدٍ قائلينَ :

— وعليكُمُ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، يأيُّها الأخُ العَزيز .

وجلسَ السندبادُ فى مجلِسه من الحجرةِ ، فجلس الضيوف جميعاً .

وبعد قليلٍ دخلَ الخدم والغلمانُ ، بعضُهم يحملُ أكوابَ الشرابِ الشهىِّ ، وبعضُهم يحملُ أطباقَ النقلِ والفاكهةِ : من الجوزِ ، واللوزِ ، والبندقِ ، والفستق ، والتفاح ، والمشمِش ، والبرقوقِ ، والخوخ . . .

وكلما فرغَ طبقٌ أسرعَ الخدمُ يملئونه من جديدٍ ، حتى شبعَ الضيوفُ .

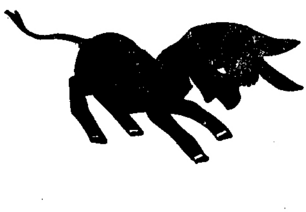
وكانت الجوارى فى هذا الوقتِ يعزفن على آلاتِ الطربِ ، ويغنّين أعذبَ الألحانِ .

ولما تمَّ سرورُ الحاضرين ، التفتَ إليهم السندبادُ البحرىُّ وقالَ :

— سمعتمْ أمسِ قصةَ رحلتى الأولى ، وعرفتُمْ ما صادفْتُه فيها من المتاعبِ والأهوال . ولكنَّها بحمدِ اللهِ قد انتهتْ بخيرٍ ، وكتبَ اللهُ لى السلامةَ فى نهايتِها ، ورجعتُ منها إلى وطنِى ودارِى بأموالٍ كثيرةٍ ، وأَرباحٍ طائلةٍ ، أَنستنى الأموالَ التى ورثتُها من أبى وَأضعتُها فى اللهوِ وَاللعبِ ، وَأَنفقتُها على أصدقاءِ السُوءِ ، الذين هربُوا منى ، حينما افتقرتُ إليهم وَاحتجتُ

إلى مساعدتهم . وكانت هذه الأموالُ التى عدتُ بها إلى بغدادَ تكفى أن أَعيشَ حياتى سعيداً مُمَتَّعاً بها ، ولكنِّى لم أستطِع الإقامةَ الطويلةَ فى مدينةِ بغدادَ ؛ لأنى عشقتُ الرحلاتِ ، وأحببتُ المغامرة والسفر إلى البلاد البعيدةِ بعد ماراأيتُه فيها من العجائبِ والغرائبِ ، وما ربحتُه منها من الأموالِ الوافرةِ .

ولا أخفى عليكم يا إخوانى أن لذةَ الرحلاتِ أكبر من كلِّ لذةٍ فى الحياةِ ، وأنّ الذى يريدُ أنْ يعرِف الدنيا على حقيقَتِها ، ويتعلمَ العلومَ النافعةَ ، يجب عليه أن يرحلَ ويسافر فى البلادِ شرقا وغرباً . شمالاً وجنوباً .



وفى ذاتِ يوم اشتدَّ شوقى إلى الرحلةِ فى البلادِ ، فخرجتُ إلى ميناءِ بغدادَ على نهرِ دجْلَةَ ؛ لأعرِفَ خبرَ السفنِ المسافرةِ . وبعد بحثٍ قليلٍ ، وجدتُ سفينةً كبيرةً تستعِدُّ للسفرِ إلى مدينةِ البصرةِ.

فرجعتَ إلى منزلى ، وأخذتُ كثيراً من الأموال وخرجتُ إلى أسواقِ بغدادَ ؛ فاشتريتُ البضائعَ النادرةَ التى تصلحَ للتجارةِ فى بلادِ الناس ، ووضعتُ كلَّ ما اشترَيْتُه فى صناديقَ ورِزَمٍ ، وحزمتُها بالحبال والمساميرِ ، وأرسلتُها إلى السفينةِ فى الميناء .

وبعدَ ما تمتْ شَحْنَةُ السفينةِ ، وركبَ فيها جميعُ المسافرينَ ، من مَلاَّحينَ وتجارٍ وركابٍ ، سارتْ بنا فى حفظِ اللهِ ورعايتِه .

ولم تزلِ السفينةَ تسير بنا من بحرٍ إلى بحرٍ ، وتنتقلُ من جزيرةٍ إلى جزيرة ، ونحنُ نتعجَّبُ من مخلوقاتِ اللهِ التى نراهَا فى البرِّ والبحرِ والجوِّ ، حتى وصلتْ بنا إلى جزيرةٍ كبيرةٍ ، لم ترَ عينى مثلَها من قبلُ ، وكأنها قطعةٌ من الجنةِ ، التى وعدَ اللهُ بها عبادهُ المؤمنينَ ؛ فرستِ السفينةُ على شاطئِها ، ونزلْنا فيها لِنتمتعَ بجمالِها ونستريحَ من تعبِ السفرِ ، ونأكلَ من ثمارِها ونشربَ من مائِها العذبِ .

وطلبنا من رُبَّانِ السفينةِ أن يطيلَ الوقوفَ على هذه الجزيرةِ ؛ حتى تعودَ إلينا قوَّتُنا وصحتُنا التى فقدْناها فى السفرِ الطويلِ .

وما كدتَ أَشربُ قليلا من الماء وآكلُ بعضَ الفواكهِ ، وأَنا جالسٌ فى ظلِّ شجرةٍ ظليلةٍ ، حتى أدركنى النُّعاسَ ، ولم يكن حولى أحدٌ من المسافرين .



رأيت كأنى أمسك حبلا . .

وكانت أغصانُ الشجرةِ متَدلِّية على الأرضِ ، ومتشابكة كالخيمةِ ، ولذلك لم يستطعْ أحدٌ أن يرانى وأنا نائمٌ .

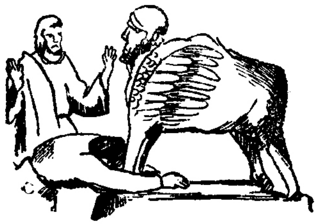
وجاء موعدُ السفر ، فصاحَ الرُّبانَ على الركابِ ، ودعاهُمْ إلى السفينةِ ، فأسرعوا إليه من أطرافِ الجزيرةِ وعادُوا كلُّهم سالمين ، وبقيتُ أنا نائماً ، لم أَشعرْ بسفرِهِمْ ، ولم يتنبهوا إلى غيابى عنهم .

وكانتِ الريحُ جاريةً ، فنشرتِ السفينةُ قلوعَها ، وجرتْ فوقَ سطحِ الماءِ ، كأنها سمكةٌ ضخمةٌ تسبح بدونِ عائقٍ .

وبعدَ قليل رأيتُ حلماً مخيفا . . . رأيتُ كأننى أُمْسِكَ حبلا متيناً ، وأتدلى به من قمةِ جبلٍ مرتفعٍ ، ومن تحتى وادٍ عميقٌ ، وقد انقطعَ الحبلَ الذى أُمسكهَ

وبقيتُ معلّقا فى الهواءِ . . . لا أسقطُ فى الوادِى ، ولا أصعَدُ إلى قمةِ الجبل .

فقمتُ من نومى فزعًا خائفا ، ونظرت حولى فلم أَجِدْ أحداً من أصحابى الذين كانوا معى فى السفينة . ولم أرَ فى الجزيرةِ إنساناً ولا حيواناً فجريتُ إلى شاطىء الجزيرةِ بأقصى سرعتى ؛ لأصلَ إلى السفينةِ وأركب معَ الركاب .



وما كدتُ أصلُ إلى الشاطىء ، حتى رأيتُ السفينة تجرى فوقَ سطحِ الماء ، وقد فردتْ قلوعَها ، كأنها حمامةٌ بيضاء تطيرُ فى السماء .

فخلعْتُ قميصى الأبيض ، وَوَقفتُ على صخرة مرتفعة ، وَصرتُ أُلَوِّحُ بالقميص ، وَأشيرُ به إلى السفينةِ ، وَأنادى وَأصيحُ بأعلى صوتى وَأقول :

— يا رُبَّانَ السلامَةِ ، لقد نسيتُم أن تأخذونى معكم . . . أنا السندبادُ البحرىُّ . . . وَكنت فى سفينتِكمْ . . . عودوا إلىَّ وَخذونى ، فسأموتُ هنا لو تركتُمونِى . . . ! !

وَلكنَّ الربانَ لم يسمعْ . وَالركابَ لم يَرَوْا قميصى فى الهواء ، وَالسفينةَ لَمْ تقفْ وَلم ترجعْ .

وَما هى إلا لحظاتٌ قصيرةٌ ، حتى اختفتِ السفينة تماما فى البحرِ . وَ كأنَّ الماء ابتلَعَها .

فوقفتُ حائراً مضطربا ، وَكادت مَرَارَتِى تَنفَطِر من الحزنِ وَالخوفِ ؛ وَأخذتُ ألومُ نفسى وَأعاتِبُهَا وَأقولُ :

— هكذا تكون عاقبة الطمعِ وَالجنونِ دائما ...

وَلو رضيتُ بنصيبى من الحياةِ ، وَقنعْتُ بالأرباحِ التى حصَلْتُ عليها من رحْلَتِى الأولى لعشت سعيدا وَلم أقعْ فى هذه المصيبة الجديدة ...

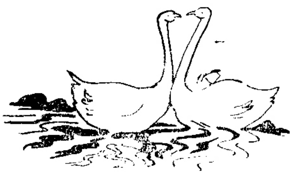
وَجلست على الشاطىءِ أبكى وَأندب حظِّى ، وَتذكرت الحلمَ الذى رأيتُه ، فقلت فى نفسى :

— حقًا أن الحبلَ الذى كنت أمسِكهُ قد انقطعَ ، وَلكنى لم أسقطْ فى الوادى وَلم أمتْ . وَلا بدَّ أن اللهَ سبحانه وَتعالى ، الذى كتبَ لى النجاةَ فى الرحلةِ الأولى ،

سيكتب لى النجاة فى رحلتى الثانيةِ ؛ لأنى خرجتُ من بلادِى أسْعَى فى طلبِ الرزقِ ، وتحصيلِ العِلمِ والمعرفةِ . ولم أخرجْ لأرتكبَ معصيةً ، أو أعملَ جريمةً . والله دائما يحرُسُ أمثالِى ، الذين يسعَوْنَ فى طلبِ الخير .

وتشجَّعَ قلبى ، واطمأنَّت نفسِى بهذه الأفكارِ التى فكَّرْتُ فيها ، ورجعتُ أقول :

— لا . . لا يا سندبادَ ، لاتلمْ نفسَك على الهجرةِ ، ولا تخفْ عواقبَ السفرِ فى البلادِ ؛ فإن الخيرَ كلَّه فى السفرِ ، ومهما صادفَكَ من الهوْلِ والتعبِ ، فستجدُ نفسَك فى النهايةِ سعيداً راضيا ، والله يحفظُكَ ويرعاك . . . ! !



وقمت من فوقِ الصخرةِ ، وسِرْتُ في الجزيرةِ آكلُ من ثمارِها ، وأشرَبُ من مياهِها .

والحقُّ يا أصدقائى الأعزاءَ ، أننى صرتُ لا أَشعرُ بجمال هذه الجزيرةِ ، ولا أعرِفُ طعماً لفواكِهِهَا التى لم أرَ لها مَثيلا من قبلُ ، ولا أطربُ لغناءِ طيورِها كما كنتُ أطربُ فى أولِ الأمرِ ؛ لأننى كنتُ شديدَ الحزنِ لفقدِ تجارَتى ، وانقطاعِى فى هذه الجزيرة ، التى لا أنيسَ فيها ولا جليسَ .

وبينما أنا أخرجُ من غابةٍ لأدخلَ فى غابةٍ ، نظرت فوجدتُ نفسى على حافةِ صحراءَ واسعةٍ مُتَرامِيَةِ الأطرافِ ، كثيرةِ الرمالِ والصخورِ .

فقلتُ :

— سبحانَ الله !! جَلَّتْ قدرةُ ربى وعظمته . . !!

حدائقُ وبساتينُ، وفواكِهُ وثمارٌ، وينابيعُ جارية ، ومياهٌ متدفقةٌ ، وبجوارِ ذلك كلِّهِ صحراءٌ ميتةٌ ، وصخورٌ صُلبَةٌ ، ورمالٌ وَكُثْبَانٌ . . .

وسرتُ فى الصحراءِ قليلا ، وأخذتُ أنظرُ فيها ، فرأيتُ على مسافةٍ بعيدةٍ ، قُبَّةً بيضاء عالية ، ففرحتُ أعظمَ فرح ، وقلتُ :

— لقد نجوتَ يا سندبادُ ، وساق الله إليك الفرجَ القريبَ ، ولا بدَّ أن تكونَ هذه القبةُ فى مدينة كبيرة ، كثيرةِ السكانِ .

وسرتُ بجدٍّ ونشاطٍ فى هذه الصحراءِ ، لأصلَ إلى المدينةِ قبلَ حلولِ الليل ، وانتشارِ الظلام .

وبعدَ سيرٍ طويل ، وتعبٍ ومشقّاتٍ ، اقتربتُ من القبّة ، فلم أجدْ مُدُناً ولا سكانا ، بل رأيتُها قبةً فريدةً فى وسطِ الصحراء ، فخابَ أَمَلى ! ! ولكنى صبرتُ وقلت فى نفسِى :

— لعلّ هذه القبة مبنيةٌ فوقَ قبرِ وَلِى من أولياء اللهِ ، وسيأتى الناسُ يزورونها ، ويقدِّمون الذبائحَ والهدايا لخدمِها ، الذينَ يحرسونها ويقيمُون عندَها . ومن الخيرِ لى أن أدخلَها وأعيشَ فيها كأنى خادمٌ من خدمِها ، حتى إذا جاء زوارُها رجعتُ معهم إلى البلادِ التى جاءوا منها .

وأخذتُ أدورُ حول القبةِ ، لأجدَ بابها وأدخلَ فيها ، ولكنى لم أعثرْ لها على باب ، فصرتُ أتأمَّلُ فى بنائِها وأُدقِّقَ فى النظرِ إليها ، ثم صحتُ صيحةً هائلةً من غيرِ تفكيرٍ . . .

— إنها ليستْ قبةً ، ولكنها بيضةٌ ! !

وهنا تذكرت ماسمعتُه من قبلُ من السياح عن طيرِ الرُّخ ، الذى يصيدُ الفيلَ الضخمَ ، ويمزِّقُه بمخالبِه ، ويطعِمُهُ لأفراخِه الصغار .

فعرفتُ أن الفرخَ الذى يبلعُ الفيلَ ، لابدَّ أن يكونَ من هذه البيضةِ .

وقلت فى نفسى :

— لقد وجد الرُّخُ طعاماً جديداً لأولادِه من لحمكَ ياسندبادُ . . . إنك لاتخرُجَ من بَلْوَى ومصيبةٍ إلا اتقعَ فى بلوَى جديدة أشدَّ وَأَقْسى . . . ! !

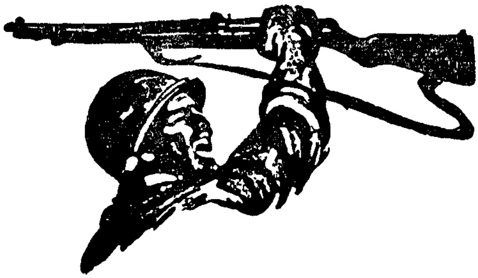
وبينما أنا فى تفكيرٍ وحزنٍ ، أظلمتِ السماءُ فجأةً ، واحتجبَ وجهُ الشمسِ ، ونظرتُ فوجدت طائراً ضخماً ، كأنه سحابةٌ سوداء معتمةٌ ، يهبِطُ من السماء شيئاً فشيئاً ، فعرفت أنه الرخُّ . وأسرعت واختفيت فى جانبٍ من ظلِّ البيضةِ حتى لايرانى .

وحضَن الرخُّ بيضتَه لتفقِسَ وَحمدت اللهَ الذى أَعماه عن رؤْيَتِى ، وَصرت أُفكِّرُ فى حيلةٍ أَتخلَّصُ بها من هذه الورطةِ التى وَقعت فيها .

فَحللتُ عمامَتى ، وَصنعت منها حبلا متينا ، وَربطت نفسى فى طرفِ مخلب الرُّخ ، وَقلت :

— إن كان فى العمرِ بقيةٌ ، نقلنى الرخُ إلى مكان أَستطيعُ أن أعيشَ فيه .

وَنمت إلي الصباح ، بعد ما دعوت ربى أن يساعدَنى وَيُنَجِّينى من كلِّ شَرٍّ .



وعند الفجرِ صحا الرخُّ من نومِه ، وفرد جناحيْهِ ورفرفَ بهما عدةَ مراتٍ ، فاهتزَّتِ الرياح وثارتِ الرمالُ ، كأنها فى عاصفةٍ شديدةٍ ، ثم طارَ فى السماء ، وأنا مُعَلَّقٌ بمخلبه ، وهو لا يشعرُ بى .

وطارَ ثم طارَ ، وارتفعَ ثم ارتفعَ ، حتى رأَيت الطرقَ التى تسيرُ فيها النجومُ والكواكبُ ، وأوشكتُ أَن أَحترقَ من حرارةِ الشمسِ ، ثم أخذَ يهبُطُ شيئًا فشيئًا . حتى نزلَ بى فى وادٍ فسيحٍ .

فأسرعتُ وحللتُ نفسى من مخلبِه ، وَارتميتُ فى ظِلِّ صخرةٍ لِكَيْلاَ يرانى .

ثم خطِفَ الرخُّ شيئًا من الأرضِ بمخالبِهِ ، وطارَ فى السماءِ . ولما نظرتُ إليه وجدتَه قد أَمسكَ حيةً

كبيرةً جدًّا ، كأنها ساقُ نخلة قديمةٍ ، ففزعتُ وخِفتُ ، وعرفتُ أَن هذا الوادى ، لابد أن يكونَ كثيرَ الحياتِ والثعابين .

وما كادَ الرخُ يبتعدُ فى السماء حتى خرجَتِ الأفاعى والثعابينُ تزحفُ من كلِّ مكان . كأنها جذوعُ الأشجارِ تَتَدَحْرَجُ فوق الأرضِ .

ونظرتُ حولِى ، فوجدتُ تحتى على مسافةٍ بعيدة جدًّا بحرًا هائِجًا مُضطَرِب الأمواجِ ، ورأيت بجانبى جبلاَ مرتفعًا هائلاً ، ليس فيه طريقٌ يمكن الصعود فيه .

فتذكرت الحلمَ وقلت :

— يا مصيبتى الـكبيرة ! ! أَردت النجاة من الجزيرةِ . فوقعت فى الهلاكِ والشرِّ ، وليسَ لى من الموتِ مفرٌّ ! !

وليتنى بقيت فى الجزيرةِ آكل من فواكهِهَا وأَشرب من مائها ، وأعيش فيها آمنًا مطمئنًا حتى ينتهى أجلى ،

أو يرسلَ اللهُ لى من يُخَلِّصُنى منها . أما هنا فلا بُدَّ أن يبلعَنى ثعبانٌ من هذه الثعابين بعد قليلٍ .

وبينما أنا خائفٌ مذعورٌ ، أبكى على نفسى ، وأندبُ حياتى وشبابى ، سقطتْ أمامى ذبيحةٌ طريَّةٌ من أعلَى الجبَلِ .

وبدلَ أن تهجمَ عليها الثعابينُ وتبتلعَها ، أسرعتْ كلُّ هــذه الثعابينِ والأفاعى والحياتِ ، فاختفتْ فى المغاراتِ والجحورِ والشقوقِ فى غمضةِ عينٍ .

فتعجبتُ كثيراً مما رأيتُ ، ولم يطلْ عجبى فقد سقطتْ ذبائحُ أخرى فى أمكنةٍ مختلفةٍ من الوادى .

وهنا تذكرْتُ ما سمعتُهُ من أَهل السياحةِ والسفرِ ، عن طريقةِ الحصولِ على الماس . . .

فقد سمعتُهُمْ يقولونَ : إن الماسَ حَجَرٌ كريمٌ فى وادٍ منخفضٍ بين الجبالِ ، لايستطيعُ أَحَدٌ أن يصل إليه . وللحصولِ على هذا الماسِ ، يذبحُ الناسُ الذبائحَ ويُلْقُونَها



خرجت الأفاعى والثعابين ترحف .

وهى طرية فى هذا الوادى ، فيلتصق بها بعض أحجار الماس .

ثم تسقط النسور والصقور والعقبان على هذه الذبائح ، وتخطفها وتطير بها إلى الجبل ، فيأتى أصحاب الذبائح ويصيحون على هذه الطيور ، فتترك ذبائحها ، ويأخذون منها أحجار الماس ، ويتركون الذبائح لها .

فلما تذكرت ذلك عرفت السبب الذى من أجله أسرعت الشعابين فاختفت . . إنها خافت أن تخطفها النسور .

وقمت فى الحال ، وجمعت كثيرا جدا من أحجار الماس النادرة ، ووضعتها فى جيبى ، ثم رقدت على الأرض وحضنت ذبيحة من هذه الذبائح ، وانظرت . . .



وبعد قليلٍ حطَّ نسرٌ قويٌّ على الذبيحةِ ، وحملها بين مخالبه ، وطارَ بها إلى الجبلِ .

وما كادَ ينزلُ بالذبيحةِ فوقَ الجبلِ ، حتى هجم عليهِ الرجالُ بأسلحتِهِمْ وأصواتِهِم من كل جانبٍ ، فترك الذبيحةَ على الأرضِ وطارَ فى السماءِ قليلاً .

واقتربَ صاحبُ الذبيحةِ ورفعها عن الأرض ، وهو يمنِّى نفسَه بأحجارِ الماسِ . . . وإذا به يرانى تحت الذبيحةِ مَذْهُولاً من كلِّ ماحدثَ لى .

فتراجعَ إلى الوراء وقالَ :

— أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم . . . هذا عفريت يا إخوانى طلعَ من جوفِ الوادى . . . ! !

فابتسمت وقلت له :

— لا تخفْ ياسيدى . فأنا لست عفريتاً ولا شيطاناً ولـكنى إنسانٌ مثلكَ ، وقد حملت لك معى مكافأةً عظيمةً ، أكثرَ مما كنتَ تنتظرُ .

ووضعت يدى فى جيبى وأخرجت له عدداً من أحجارِ الماسِ النادرةِ ، وقدمتُها إليه . فكاد يطيرُ من الفرحِ والسرورِ . واجتمعَ حولى هو وزملاؤه وسألونى عن قصَّتى ، وسبب وجودى فى هذا الوادى ، فأخبرتهم بالحكايةِ كاملةً ، من يومِ خروجى من بغدادَ إلى ساعةِ وقوفى أمامَهُمْ .

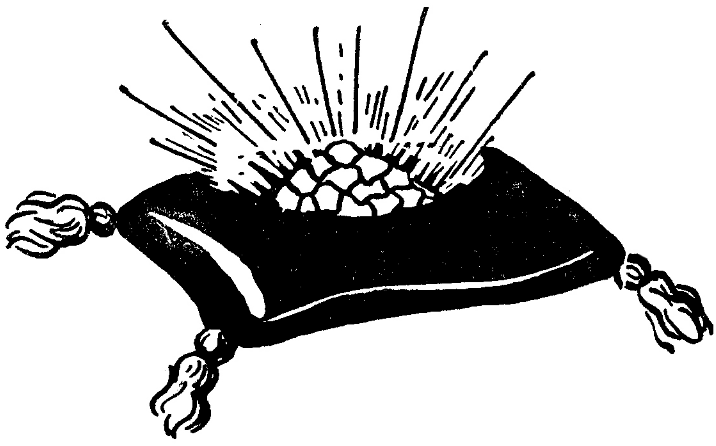
فأقبلوا علىّ يهنئوننى بالسلامةِ والنجاةِ ، ويقولون لى :

— لقد كتبَ اللهُ لك عمراً جديداً ، فلم ينزلْ أحدٌ قبلكَ هذا الوادِىَ ، ويعودَ منه سالماً . فمن لم تأكله الثعابينُ ، تخطَفْهُ النسورُ ، أو يهلكْه الجوعُ والعطشُ .

فقلتُ لهم :

— يا إخوانى ، الأعمارُ بيدِ اللهِ ، ومن أرادَ الله له النجاةَ هيَّأَ له الأسبابَ . فعلينا أن نسعى فى طلبِ الرزقِ ونعتمدَ على اللهِ فى سعينا ، وهو وحده يحرسُنا ويحفظُنا .

وانتظروا حتى رجعتْ إليهم ذبائحُهم ، وَمنهم من صادتْ ذبيحتُه بعضَ الأحجارِ ، وَمنهم من وَقعت ذبيحتُه على صخرةٍ ملساء فلم ترجعْ إليه بشىءٍ .



ولكن الذين ربحوا صاروا يُعْطُون من خابتْ ذبائحُهُمْ بعضَ ما جادتْ نفوسُهُمْ به ، حتى أصبحَ كلٌّ واحدٍ منهم معهُ شيءٌ من هذه الجواهرِ التى يسعونَ فى كسبِها .

وقد أعجبتْنى أخلاقهم الكريمةُ ، التى لم أر من قبلُ مثلَها ، فتمنيت فى نفسِى أن أعيشَ معهم ، وأتصف بأخلاقِهم .

ولما أَرادوا الرجوعَ إلى بلادِهم ، طلبوا منى أن أَسيرَ معهم وأَكونَ واحداً منهم .

ففرِحت بهذا الطلبِ ، وتحققت رغبتى التى كنت أُمنِّى نفسِى بها ، وسرتُ معهم .

ووصلنا إِلى مدينتِهمْ فى طرفِ الجزيرةِ ، فوجدتَها

مدينةً جميلةً ، والناسُ يعيشونَ فيها عيشةً هنيئةً ، وليست بينَهُمْ عداوةٌ ولا حروبٌ . وليس فيها أحدٌ يشكو الجوعَ أو الظلمَ ؛ لأنهم اختاروا من بينِهم رئيساً عادِلاً مستقيماً ، فنظَّمَ شئونَهم ، ورتَّبَ أمورَهُم ، وجعلَهُمْ يساعدون المحتاجين .

وكان لكلِّ فردٍ في هذه المدينةِ عملٌ يقومُ به ، فليس بينهم إنسانٌ كسلان ولا عاطلٌ .

ولهذا كثُرَ الخيرُ في بلادِهِم ، وصاروا يعيشون في سعادةٍ ورخاء .

وقد أقمت بينهم سنةً كاملةً ، وتعلمت منهم التجارَةَ ، وصرتُ أَبيعُ وأَشترى ، واستبدلُ أحجارَ الماسِ التى معى ببضائعَ وسلعٍ ، لايوجدُ لها مثيلٌ في مدينةِ بغدادَ .

وفى نهايةِ السنةِ ، أقبلت سفينةٌ كبيرةٌ ، عليها تجارٌ وبضائعُ ، فأنزلوا بضاعتَهُمْ ، وباعوها لأهلِ الجزيرةِ ، واشتروا غيرَها منهم وأرادوا العودةَ .

فلما سألتُهم عن طريقِ عودتِهِم ، عرفت أنهم سوفَ يمُرونَ بالبصرةِ .

فتذكرتُ أهلى وأوطانى ، واستأذنت من أصحابى فى السفرِ ، فأذنوا لى .

فجمعت تجارتى ، وركبت السفينةَ ، وقد صعُبَ علىَّ فراقَ هؤلاءِ الأصدقاءِ الكرماء .

وَسارتْ بنا السفينةُ أياماً وَليالى فى ريحٍ طيبة ، حتى وَصلنا إلى مدينةِ البصرة .

وهنالك أخرجت بضائعى ، وركبت سفينةً أخرى إلى مدينةِ بغدادَ .

وما كادَ خبرُ وصولى ينتشرُ فى المدينةِ حتى أقبلَ أهلى وأصحابى يسلِّمون علىّ ويقولون لى :

— الحمدُ للهِ الذى أرجعَك إلينا بالسلامةِ !! لقد خفنا أن يكونَ أصابَكَ مكروه وشرٌّ ، لطولِ غيبتِك عنا فى هذه الرحلةِ . فالحمد لله ! ألف حمدٍ !!

فشكرت لهم شعورَهم الكريم ، وأخرجت ما كان معى من الهدايا النفيسة ، وأعطيت كلَّ واحدٍ منهم هديتَه .

وفى صباح اليوم التالى حضر كبارُ التجارِ فى المدينة ، واشتَرَوْا ما كان معى من البضائعِ النادرَة ، ودفعوا فيها أثمانا كبيرة .

وعشت فى بَغدادَ فى سعادةٍ وسرور .

* * *

وَفى الغدِ تسمعون إن شاء اللهُ خبرَ رحلتى الثالثة .

* * *

ولما خرج الضيوفُ من عند السندبادِ البحرى .
وَجد كلٌّ واحدٍ منهم غلاماً يسيرُ خلفه بهديةٍ فاخرة ،
من هداياه النادرة .



قصص الرشيد

١ — الرشيد يتحدث
٢ — مَجد البرامكة
٣ — نكبة البرامكة
٤ — الأمويُّ البرىء
٥ — فتح هِرَقْلَة
٦ — الجزيرة العائمة
٧ — فى جبال الماس
٨ — صانع السروج
٩ — كتاب لقمان الحكيم
١٠ — ليلة فى ضفاف دجلة
١١ — تاجر البصرة
١٢ — سجادة أَبى الكاظم

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها
الفجالة - القاهرة

مطبعة نهضة مصر
الفجالة - القاهرة